

# الرسالة

بجدد أسبوعية للتفكير والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها السنول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشوارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٨٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ شبان سنة ١٣٦٥ - ١٥ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين . وربما اكتفوا في تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالمباراة العامة ، أو الإشارة البهمة ، أو المهاتف الموجز كقولهم : والله دره إذ يقول ... وهذا مما لم يسبق إليه أحد ... وما أحسن هذا البيت ! ...

هذا أبو منصور الثعالبي قد أفرد في كتابه : الإيجاز والإيجاز ، وخاص الخاص ، بآيا مسرف الطول لوسائط قلائد للشعراء ، ربهم فيه ترتيباً زمنياً من عصر الجاهلية إلى عصره ، ثم حكم على كل شاعر بجملة من جزاف القول لا تحليل فيها ولا فائدة منها ، كقوله : يقال إنه أمير الشعراء ، وأمير شعره قوله : ... ، ومن جوامع كله قوله ... وأمير شعره وغرة كلامه قوله ... وليس للعرب مطلع قصيدة في مرثية أوجز لفظاً وأحسن معنى من قوله ... وأمدح بيت قاله العرب في الجاهلية قوله . . . ومن لطائف كلامه وطرائفه قوله ... فلما أراد الإسهاب والاستيعاب في كتابه : ( يتيمة الشعر في محاسن أهل العصر ) عسى باللفظ المختار والسجع الرائق والاختيار الحسن ؛ ولكنه لم يمن بالخطوط التي تميز كلاماً من كلام ، ولا بالحدود التي تفرق بين شاعر وشاعر . فلو نقلت ما قاله من المدح في شاعر إلى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق . والأمر كذلك في كل ما ألف من الكتب على طراز اليتيمة كدمية القصر للباخرزي ، وخريدة القصر لعباد الدين الأصفهاني ، وزمخانة الألباء لشهاب الدين الخفاجي ، وسلافة العصر في محاسن أعيان العصر ، لابن معصوم المحبي

كذلك فعل الأدباء اللغويون كالأصمعي في كتابه « فحول

من الفصول المزبورة على كتابنا (في أصول الأدب) :

## النقد عند العرب

وأسباب ضعفهم فيه

ذكرنا في ختام المقالة الأولى أن حظ العرب من تاريخ الأدب قد ضؤل لأنه فرع من التاريخ العام ؛ وفن التاريخ العام بمعناه الصحيح لم يكن في طوقهم لمجزم عن وسائله وجهلهم بعلمه . ثم أفضنا في المقالة الثانية في بسط العوامل المؤثرة في الأدب لتوضح العلاقة الوثيقة بين التاريخ السياسي والتاريخ الأدبي وفي هذه المقالة نذكر نقصاً آخر في الوسائل الضرورية لتؤرخ الأدب وهو ضعف أدبائنا القدامى في النقد واعتسافهم طرائق الحكم فيه . والنقد كما علمت داخل في تعريف تاريخ الأدب بمعناه الأخص<sup>(١)</sup> ؛ فالمجزم عنه أو الضعف فيه يستلزم حتماً ذلك النقص الذي نراه واضحاً في أكثر ما صدر عن أسلافنا من تحليل أو موازنة أو حكم . فإن من يطلع على ما أثر عن السلف من الموازنة والنقد يجد الخطأ في الأقيسة ، والخلل في الموازين ، وذلك لتحكم الذوق الخاص ، واستبداد الهوى المطلق . وإرسال الناقد الحكم على

(١) راجع ص ١٣ من الطبعة الثانية من كتابنا « في أصول الأدب » التي سيظهر قريباً .

الشعراء» ، فقد توخى فيه تمييز غنول الشعراء من غيرهم بأحكام لا أسباب لها ، وأقوال لا غناء فيها ؛ ومثله سائر اللغويون والرواة الذين سجل الأصفهاني آراءهم في أغانيه ، فإنها لم تعتمد أن تكون آراء شخصية لا تقوم على دليل ناهض ، ولا تعتمد على قاعدة عامة . وسواء أكان النقاد من الأدباء أم كانوا من اللغويين فإن أحكامهم كانت تصدر على الشاء من جلته ، أو على بيت أو بيتين أو ثلاثة من قصيدته ...

ولم نعثر على مثال من النقد البياني لقطعة كبيرة من الشعر إلا في كتاب إبحاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ، حين حاول أن يبين ما جاء من الموارد في نصف مملقة امرئ القيس ، على أنه لم يستطع الإنصاف ولم يبرأ من الضوى .

ولقد أكثر البيانيون من سرد الأبيات المفردة مستشهدين بها على قواعد المعاني والبيان والبديع ، ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى عقد باب للنقد البياني يضع فيه قواعده ويرسم حدوده ويبين غايته .

نعم ، ألف قدامة بن جعفر كتاباً سماه ( نقد الشعر ) يقول في أوله : « العلم بالشعر ينقسم أقساماً ، قسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعته ، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولفته ، وقسم ينسب إلى علم معانيه والتمسك به ، وقسم ينسب إلى علم جيده وروايته ، وقد عبي الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافي والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر ، وما الذي يريد بها الشاعر ، ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتحليل جيده من رديته كتاباً ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام » ولكن المؤلف لم يخرج عن السنن المألوف في ذكر ما يحسن أو يقيح في الأبيات المفردة أو المقطوعات القصيرة ، على منهج لا يختلف عن مناهج المتأخرين من أصحاب البيان والبديع

والحال في الموازنة كالحال في النقد سواء بسواء . تنازع علماء الأدب في أي الشعراء أشعر ، وذهب الخلف بينهم كل مذهب ، فلم يتفق ناقدان على رأي ، ولم يجتمع رأيان على شاعر ،

وكان مدار المفاضلة على الأبيات المفردة من الشعر والصفات العامة للشاعر . فأبو زيد محمد بن الخطيب القرشي أضاع ثمان عشرة صفحة من كتابه جبهة أشعار العرب في أن من علماء اللغة في القرنين الثاني والثالث من كان يقدم امرأ القيس أو زهيراً أو النابغة أو الأعشى أو لبيداً أو عمرو بن كلثوم أو طرفة ، ولكنك إذا نظرت في أسباب المفاضلة لم تجد فيها ما يقنعك على أن تتابع واحداً منهم فيما يرى . وإذا قرأت ( باب المشاهير من الشعراء )

في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، وهو فصل نسخ أكثره جلال الدين السيوطي في كتابه ( المزهر في علوم اللغة ) لم يزدك اختلاف العلماء في الحكم على الشعراء إلا ريبية وحيرة . ولقد تشعبت الآراء وتمازقت الأهواء في الموازنة بين جرير والفرزدق والأخطل ، ثم بين مسلم بن الوليد وأبي نواس وأبي التماهية ، ثم بين أبي تمام والبحترى والتنبلي ، ولكنك لا تدري إلى اليوم علام استقر الرأي وكيف انحس الخلاف . ولعلك لا تجد الفرق بعيداً بين حكم بصدر جواناً عن سؤال أو عرضاً في مقال ، وبين حكم يصدر عن روية وبحث في كتاب قائم بذاته ، فكتاب « الموازنة بين الطائيين » لأبي القاسم الحسن بن بشير الأمدى ، ينتدى بذكر أخطاء أبي تمام كقولته : ( وقال :

ضحكات في إثرهن العطايا ، وبروق السحاب قبل رعوده

فأقام البرق مقام الضحك ، والرعد مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يقوم الضحك مقام العطايا لا الرعد . ثم يستطرد إلى تحطئة الشعراء القدامى في المعاني ، ثم ينتقل إلى سرقات أبي تمام ويعود إلى تحطئته في المعاني ، ثم يعقد باباً لها في شعر أبي تمام من قبج الاستمارات ، وباباً في سوء نظمه وتعقيد ألقاظ نسجه ، ثم يابأ فيما كثر في شعره من الزحف واضطراب الوزن ؛ وينتقل بعد ذلك إلى البحترى فيسلك في الكلام عنه الطريقة التي سلكها في الكلام عن أبي تمام ؛ ثم يخلص إلى الموازنة بين الشاعرين فيقول : « وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر في ذلك المعنى بيئته . فلا تطلبني أن أتمدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق ، فإنني غير قائل بذلك ؛ لأنك إن قلديني لم تحصل لك القائمة بالتقليد ، وإن طالبت بالمثل